المقاهرة وأنا ..

[قصيدة نثر]

المقاهرة

هى مدينتى

التي ولدت بأحد بيوتها العتيقة

فى حى الخليفة

وقضيت تحت جناحها صباى

فى حى الحسين

وأستقى شبابى من مشربياتها

فى حى المدرب الأحمر

وكننت أخطو بحذر ودهشة

فى أحيائها الراقية :

جاردن سیتی ، والمزمالك ،

ومصر الجديدة

كما كانت خطاى تحملنى

إلى بعض أحيائها المكتظة

مثل بولاق ، وباب الشعرية ،

ودار السلام

* □ *

المناس فى المقاهرة

مشغولون دائما بأعمالهم

وترى الجديدة على وجوههم

وكذلك تجاعيد السنين

وحين يضحكون.. فبصوت عال

لكن عيونهم تمتلئ بطيبة كامنة

وهى لا تظهر

إلما عندما تحتاج إلى مساعدتهم

فيجلسونك على كرسى أمام محل

أو يقدمون لك كوب ماء

ويتركونك حتى تستعيد قواك

ثم تقوم لتواصل طريقك..

[]

فى المقاهرة

تسير عربات الكارو

بجانب سيارات المرسيديس

ولما أحد يتضايق أو يعترض

فالمشارع رغم ضيقه

يتسع أيضا للمشاة

ولسائق عجلة الخبز

الذى يقودها بيد ،

ويضع بيده الأخرى فوق رأسه

عدة أقطاص بها مئات الأرفضة !

فى المقاهرة

الكثير من المقطط والكلاب المضالمة

أو هكذا يسمونها

وهى تتجول بأمان

وتتناول طعامها من القمامة

أو ما يمنحه لها بعض الناس

وغالبا ما تشاهدها بجوار المقاهى

تتأمل الجالسين فيها

وهم يلعبون الطاولة ،

أو يدخنون المشيشة

* □ *

نساء المقاهرة

ذوعان :

فى الأحياء الشعبية

سمينات وصريحات

وفى الأحياء الراقية

أنيقات ومنتحظات

لكنهن جميعا

يتابعن المسلسلات بعشق

ويحلمن بأبطالها

دون أن يصرّحن بذلك

يقال إن المقاهرة

هى مدينة الألف مئذنة

وهى فى الواقع أكثر من ذلك

فالمساجد نا حصر لها

والمقديمة منها تحف معمارية

بناها المماليك

كفارة لهم عن قسوتهم

تجاه الشعب المصرى الطيب

الذى احتضنهم ،

وتركهم يحكمونه لعشرات المسنين

[]

فى شوارع المقاهرة

وبسبب المزحام والحرّ

تهبّ المشاجرات لأتفه الأسباب

وتشتبك الأيدي ، ويعلو الصراخ

وتتملئ البلكونات بالمتفريجات

ويحلف كل متصارع بالطلاق

أن يمحو خصمه من الوجود !

لكن أهل الحكمة يسرعون بالتدخل

ويبعدون أحدهما عن الآخر

وتنتهى الخناقة بالمصافحة

والمصلاة على النبي المهادي ..

* □ *

المقاهرة فى شهر رمضان

تظل ساهرة طوال الليل

فالأطفال يلعبون بالفوانيس

وحبال المزينة تمتد بين المنازل

وباعة المعرقسوس

يستخدمون صاجاتهم في النداء عليه

وعربات الفول المدمس

ومحلات الكنازة والمزبدي

عليها زحام دائم

وقبل أن ينطلق مدفع الإفطار بدقائق

تتوقف الحركة تماما

فتخلو الشوارع من المارة

ولما تكاد تسمع صوت محرك سيارة واحدة

وكل أسرة ملتفة حلو مائدتها

وهي تحمد الله على ما فوّتها

من ماء وخبز وطعام ..

[]

وبالنسبة لى

فقد زرت كثيرا

من مدن العالم المتألقة

باريس وروما وبكين وكولمبامبور

ومعظم العواصم العربية

وأعترف الآن

بأننى ما استرحت إلا فى المقاهرة

وأن المشوق إليها يبدأ فى نفس اللحظة

التي أغاندها فيها

وطوال ابتعادى عنها

أظل أعد الأيام الممتيقية

لكى أعود إليها

وحين أنزل فى مطارها

أستنشق بملء رئتى

المهواء الخاص بها

وعندما أجلس فى إحدى مقاهيها

أشعر كأننى وسط عائلتى

وحين أتعثر فى أحد طرقاتها

أنهض بدون تذمر

وحين تنقطع الكهرباء فى شقتى

أظل هادئًا

وأنتظر عودتها من جديد

وحين أذهب لوداع أحد أصدقائي

إلى مقره الأخير بمدافن المقاهرة

أقول لنفسي :

لعلنى أكون التالي ..